مجلة كلية الآثار بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

أعمال الآجور بمكة المكرمة من خلال المصادر التاريخية حتي نهاية العصر المملوكي

إعداد

د/عنان محمد فايز الشريف

قسم الآثار الإسلامية

مقدمة :

تهتم هذه الدراسة بتناول جانب مهم من العمارة المكية عبر تاريخها الطويل ومدى ما بلغه المكيون من تقدم في فنون العمارة ، والتفهم الكامل لخواص المواد واستخداماتها ، وبما يتوافق مع العوامل البيئية والإجتماعية والإقتصادية للمجتمع المكي عبر مراحلة التاريخية المتعاقبة ، والمقصود بذلك صناعة الآجر ، كأحد مواد البناء المستخدمة بمدينة مكة في الفترات الاسلامية المختلفة. ويعتبر الطين ومشتقاته العنصر الرئيسي في صناعة الأجور، والذي يتوفر بكثرة في الأودية المحيطة بمدينة مكة المكرمة ، بما تلقيه مياهها من رواسب طمييه ، وقد استخدم الطين منذ فترات مبكرة جداً كمادة إنشائية رئيسية في البناء بالحجاز بشكل عام ومدينة مكة المكرمة على وجه الخصوص الى جانب الحجر حتى أنه اعتبر كأقدم مادة إنشائية في تاريخ العمارة .

ومن الطبيعي أن يدخل الآجر كمادة بناء في العمارة الحجازية متأخراً عن اللبن ، حيث يمثل المرحلة المتطورة في صناعة وتشكيل الطين ومشتقاته .

أن التوصل لصناعة الأجور حدث بفعل الكور (الأفران) المعدة لحرق الفخار وما صاحبها من تصلب اللبن وكتل الطين بفعل الحرارة، وبالرغم من الطريقة المضنية المستخدمة فى صناعته قديماً والمتمثلة في الجهد الكبير فى عجن الطين وبز الماء والأملاح منه وغسله وإضافة مواد مقوية إليه في بعض الأحيان وتهيئة أفران خاصة لحرقه بدرجات حرارة عالية تتراوح بين (١٠٠- ٧٥٠° درجة مئوية) لإنتاج الأنواع الجيدة منه،فقد استخدم بشكل واسع في المنشآت المختلفة بمكة، نظرا لقدرته على مقاومة الأملاح والرطوبة في التربة والتي لم تكن موجودة في مادة اللبن فضلاً عن مميزاته الأخرى والتي تفوق بها على اللبن ، رغم أن تكلفته الكبيرة مقارنة باللبن كانت سبباً في عدم انتشاره في الفترات الأولى من ابتكاره .

المعطيات التى توفرها المصادر التاريخية المكية وما تبقى من المباني القديمة (لوحات١: ٦) توضح مدىانتشار استخدام الآجر وتعدد مواضع استخدامه ، فى العمارة المكية ، بما يؤكد أنه كان بمكة مدرستها الخاصة في هذه الصناعة، أعتمدت في الأساس على مهارة الصناع المحليين وخبراتهم المتراكمة عبر السنين.

وقد ترتب على تطور هذه الصناعة فى مكة المكرمة، تقدم في الأعمال الإنشائية التي إعتمدت على الآجر، كمادة بناء سواء رئيسية أو مساندة ، فتعددت المواضع التي استخدمت في بنائها الآجر ، كما استفاد المعمار المكي من الشكل المنتظم لقطع الآجر، ونجح في استخدامها في ابتكار تشكيلات فنية وزخرفية بطرق مختلفة .

هذه الدراسة اعتمدت في تناول هذا الموضوع على المنهج الاستقصائي التحليلي ، من خلال الوقوف على ما ورد في متون المصادر التاريخية من اشارات لمنشآت أو تعميرات تمت على مباني في مكة، عبر تاريخها الطويل واستخدم فيها الآجر ، والتعرف على نوعية المواضع التي استخدم في عمارتها أو زخرفتها .

الآجر لغة واصطلاحا :

والآجر جمع آجرة ويعرف أيضاً باسم (قرميد)(١) ، أو (طوب) ، ويسمى باللهجة العامية (آجور) (٢) ، ويسمى أيضا (قصة) .

وهو عبارة عن طين مطبوخ أى طين مصنوع تمت صناعته في الأفران شديدة الحرارة (٣) والآجر كما يذكر بن منظور في معجمه هو طبيخ الطين(٤)الواحدة بالهاء آجرةُ وآجُرَه وهو الآجُرُ مخفف الراء وأجر وآجور علي وزن فاعول وهو الذي ببني به (٥) .

وعندما نرجع إلى أصل كلمة آجر فنجد أنها كلمة من أصل فارسى معربة وفيها لغات : أجر وياجور وآجرون وهى تعريب أكور بمعنى الطوب المحروق وهو طين يحكم عجنه وتقطيعه ثم يحرق ليبنى به والواحدة منه آجرة ، ويطلق عليه أحياناً الطوب الأحمر لأنه يحمر عند الحرق، ويستخدم غالباً في الأجزاء العلوية من المبنى والعقود وأحياناً بين مداميك الحجر(٦) .

وهناك من يرى أن الآجر كلمة إشتقت من اللغة الأكدية ، ثم استعارتها اللغتين الآرامية والفارسية(٧) .

وهناك من عرف الآجر لغوياً بأن كلمة الآجر بفتح الهمزة وسكون الجيم جمع أجور : الثواب والمكافأة والآجرة بضم الهمزة وسكون الجيم : الكراء وعوض العمل الذى يأخذه الاجير عند انتهاء عمله ومن ذلك قولهم الآجر من الله والآجرة من الانسان (٨) .

---

(١) القرميد: جمع قرميد، والقرمد ، الآجر ، وبناء مقرمد ، مبنى بالآجر أو الحجارة. فاروق محمد علي ، القراميد العمارية في العراق الى نهاية القرن السادس عشر ، ماجستير ، كلية الأداب ، جامعة بغداد ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص١.

(٢) عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ١٢ ؛ عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية، الطبعة الأولى ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٧ ؛ ناصر الحارثي ، أعمال الآجر ، ص١١ .

(٣) عبدالرحيم غالب ، موسوعة العمارة الاسلامية ، ص٢٨ ؛ ناصر الحارثي ، زخارف الملاط والآجر في دار الهناء ، هامش٥ ، ص٢٧٦ .

(٤) استخدم الطين منذ فترات مبكرة جداً كمادة إنشائية رئيسية فى البناء حتى أنه اعتبر كأقدم مادة إنشائية فى تاريخ العمارة. عادل عبد الله الدليمى، مواد الإنشاء الرئيسية فى العمارة العراقية القديمة، ضمن بحوث عن العمارة العربية قبل الإسلام وأثرها فى العمارة بعد الإسلام، مركز الإحياء العلمى العربى،بغداد، ١٩٩٠م، ص١٠٥.

(٥) نجيل كمال عبد الرازق ، الخصائص التخطيطية والتصميمية للمبانى للمستوطنات الطينية فى العراق ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد رقم ٢٥ ، ٢٠١٢م ، ص ٩٣-١١١.

(٦) محمد محمد أمين وليلى على ابراهيم ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠١٥١٧م) ، الطبعة الأولى ، دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٩٠م، ص٧٨ .

(٧) طه باقر ، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل ، بغداد ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٧.

(٨) عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ص ١١ .

ويعد الآجر briquette مادة من مواد البناء تستخدم في إنشاء الجدران والسقوف المقبَّبة وفي تبليط الأرضيات وكسوة السقوف المائلة والجدران [٩] .

وهو يخالف الحجر والرمل في أنه خرج عن أصله بالطبخ بالصنعة بخلافهما وبخلاف الجبس والجص أيضاً إذ هما حجر محرق [١٠] .

الآجر في العمارة المكية :

يعتبر العراق القديم اقدم موطن للآجر [١١] .

ومنه انتشر فن الزخرفة بالآجر في مدن العالم الاسلامي قاطبة أسيا الوسطى وإيران والأناضول ، حتى شاع استخدامه في إنشاء ابنية كاملة .

وقد بلغ قالب الآجر زمن العباسيين ذراعاً مكعباً ويزن مائتي رطل ، أما في جدران مسجد سامراء فقد استخدمت قوالب أجورية أصغر حجماً ، وأخف وزناً بلغت مقاساتها (٢٥×٢٧×٠٧سم) ، ولم تكن الجزيرة العربية بشكل عام ومنطقة الحجاز ومدينة مكة المكرمة على وجه الخصوص بعيدة عن هذا التطور في صناعة واستخدام مواد البناء في الأعمال المعمارية والتشكيلات الفنية .

وقد كان البناؤون قبل استخدام قوالب الطوب الأحمر والأبيض ، كانوا يبنون اجزاء من بيوتهم في مكة والمدينة باستخدام اللبن المصنوع من الطين ، فقد كانت حجرات الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة في البداية مبنية باللبن ومسقوفة بجريد النخل وعليه شيء من الطين، كما بنيت جدران المسجد النبوي في البنائين الأول والثاني له في عهده صلى الله عليه وسلم باللبن [١٢] ، ثم تطور الأمر بعد ذلك واستخدمت الحجارة في اعمال البناء ، إلى ان تطور الأمر فاستعملوا الآجر المعمول في النار ، ومادته من الطين [١٣] ، وقد استخدم المكيون الآجر بشكل فني بديع ادى الى ظهور طابع معماري مميز وجميل للمدينة المقدسة.

ازدهرت صناعة الآجر بمكة المكرمة منذ العصور الإسلامية المبكرة ، والتى غالباً ما كانت استمراراً لازدهارها في عصورها السابقة ، ولاتزال هذه الصناعة محتفظة بأهميتها حتى وقتنا الحاضر ، رغم ظهور مواد بناء جديدة، كالإسمنت ، وقوالب الخرسانة الجاهزة [١٤] ، حيث تعتبر من مواد البناء المفضلة لدي سكان مكة في البناء [١٥] .

---

(٩) محمد أحمد عوض ، ترميم المنشآت الأثرية ، دار النهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م ، ص٧٨ .

(١٠) أنور محمود زناتى ، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية ، دار زهران للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠١٣م ، ص ٣٤ .

١١- ثروت عكاشة، تاريخ الفن، ج٤، الفن العراقي، سومر وبابل وآشور، مطبعة فينيقيا، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٩٢.

(١٢) عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٢٠٣ ، ٢١١.

(١٣) أبكر ، صور من تُراث مكة المكرمة ، ص٢١٧.

(١٤) في عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م عرف البناء بالإسمنت وزاد وانتشر استخدامه منذ ذلك الوقت وأصبح هو المادة الأساسية في معظم أعمال البناء التي تتم في المدينة المقدسة. ناصر بن علي

أولى الإشارات التي وصلتنا عن الآجر بمكة المكرمة،تعود الى عصر الخليفة الأموي معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م)حيث ادخل هذهالصناعة إلى مكة المكرمة بجلبه عمالاً نبطاً لعمل الآجر لاستخدامه في بناء دوره بمكة المكرمة [١٦] .

واستمر الاعتماد على الآجر كمادة بناء خلال العصر العباسي بمكة ، فقد استخدم في بناء دار لبنى مخزوم ،والتي كان بعضها لعيسى بن محمد المخزومي بناها في ولايته على مكة في سنة ٢٥٤هـ [١٧] ، ويشير المقدسي على الإجمال الى استخدام الأجر في عمارة الأجزاء العلوية من البيوت المكية فيذكر: (... بناؤها (أي مكة) حجارة سود ملس وبيض أيضا وعلوها الآجر كثيرة الأجنحة من خشب...) [١٨] .

ويذكر الأزرقي أنه في عهد الخليفة المهدى العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٦م) استخدم الآجر في التعميرات التي قام بها في المسجد الحرام سنة (١٦٠هـ/٧٧٧م) [١٩] ، وكذلك التعميرات التي قام بها أيضا عام (١٦١هـ/٧٧٨م)[٢٠].

كما استخدم الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢٢٩هـ/٨١٤-٨٤٤م) مداميك الآجر في تعميراته بالمسجد الحرام [٢١] ؛ وقد استخدمالخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م) الطوب الآجر الاحمر المتوسط الحجم في عمارته بالمسجد الحرام [٢٢] .

الحارثي ، موسوعة الأثار الاسلامية بمكة المكرمة (أعمال الآجر) ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص١١.

(15) Anqawi, Sami Mohsin, Makkah Architecture, P.H.D. Thesis , School of Oriental and A- Frican Studies, University of London, 1988, p387-398.

(١٦) ناصر بن على الحارثى ، الآثار الإسلامية فى مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٤٢٧.

١٧- الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص٣٣٠-٣٣١.

١٨- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المعروف بالبشاري، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩م، ص٧١.

١٩- محمد بن سالم بن رشيد العوفى ، تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام حتى نهاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٨ .

٢٠- الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٦٩ .

٢١- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٥٦٠ .

٢٢- الفاكهى (الإمام أبى عبد الله محمد بن اسحاق) ، أخبار مكة، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٨٨ .

واستمر استخدام الآجر في مكة حتى العصر المملوكي فقد استخدمت قطع الآجر في المسجد الحرام عام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) [٢٣] ، في اكثر من موضع في مجموعة التعميرات التي تمت بالمسجد خلال هذه الفترة [٢٤] .

ومن امثلة ذلك استخدامالسلطان الناصر حسن بن قلاوون (٧٤٨هـ-٧٦٢هـ/ ١٣٤٧م- ١٣٦١م) مداميك الآجر فيالإنشاءات التي قام بها داخل المسجد الحرام عام ٧٥٩هـ/١٣٥٧م [٢٥] .

كما استخدم الآجر في الأعمال المعمارية التي قام بها السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) في المسجد الحرام [٢٦] .

وفى شوال من عام (٨٠٢هـ/١٤٠٠م) استخدمالطوب الآجر المدكوك في عمارة المقام الحنفي والمقام الحنبلى [٢٧] .

وذكر الفاسي والنهروالي أن الأمير بيسق الظاهري أمير الحاج المصري استخدم الآجر في العمارة التي قام بها بالمسجد الحرام عام (٨٠٣هـ/١٤٠١م) [٢٨].

واستمر استخدام الآجر في التعميرات التي تمت على المسجد الحرام خلال الأعوام (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) [٢٩] ؛ وعام (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) [٣٠] ، وتلك العمارة

٢٣- ابن الضياء (الإمام أبى البقاء محمد بن أحمد بن محمد المكى الحنفى ت٨٥٤هـ)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم الأزهرى، أيمن نصر الأزهرى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٢٤؛ باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٤٩.

٢٤- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٩٠ ، ٥٠١؛ ابن الضياء، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص١٤٩ .

٢٥- عادل محمد نور عبد الله غباشي، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فى العصر العثمانى دراسة حضارية، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٠٥.

٢٦- النجم بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، ص٤١٢ ؛ باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٢٧ ؛ فوزيه حسين مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثمانى، دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٢.

٢٧- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٦٢؛ النجم عمر بن فهد (٨١٢هـ-٨٨٥هـ)، إتحاف الوري بأخبار أم الفري، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، دار المدني، جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٣، ص٤١٢ ؛ ابن الضياء، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص١٦١.

٢٨- النهروالي (محمد بن أحمد بن محمد ت٩٩٠هـ)، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق على محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٩٨-١٩٩؛ القطبي، تاريخ البلد الحرام، ص٨٣-٨٤؛ حسين عبدالله باسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما إحتوى من مقام ابراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، ط٣، تهامة للنشر، جدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٧١.

٢٩- غباشي، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، ص١٠٣.

٣٠- الفاسي (تقى الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى ت٨٣٢هـ)، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبى، الطبعة الأولى، مكتبة

التي تمت في ذى القعدة ٨٢٥هـ-١٤٢٢/١١م بأمر الملك الأشرف برسباى على يد الأمير زين الدين مقبل القديدي [٣١] ، وغيرها من التعميرات التي سيأتي ذكرها لاحقا في هذه الدراسة .

مواضع استخدام الآجر بمكة حتى نهاية العصر المملوكي :

العمائر الدينية :

لعل من أهم المواضع التي استخدم فيها الآجر في العمارة الكية على مر تاريخها الطويل هى العمائر الدينية، والتي يأتي في مقدمتها المسجد الحرام ، وقد تعددت المواضع التي استخدمت فيها الآجر ما بين بناء الجدران أو الأسقف أو العقود وغيرها كما يلى :

استخدام الآجر في بناء العقود والأساطين :

تعتبر العقود من العناصر المعمارية المهمة التي استخدم في بنائها مداميك الآجر،نظرا لسهولة تطويعه واستخدامه في بناء أشكال منحنية وغير مستقيمة ، فقد استخدام الآجر في أعمال البناء بالمسجد الحرام عام (٣٠٦هـ/٩١٩م) أثناء تعديل اسلوبربط توسعة دار الندوة بالمسجد الحرام، وذلك في بناء العقود التي تصل بين الإضافة الجديدة التي شملت مساحة دار الندوة وبين جدار المسجد الحرام ، اذ ورد في الأزرقي "(..أن دار الندوة هدمت ثم انشئت من أساسها ، فجعلت مسجداً بأساطين وطاقات ، وأروقة مسقفه بالساج المذهب المزخرف ، ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر باباً ، ستة كبار سعة كل باب خمسة أذرع ، وارتفاعه في السماء أحد عشر ذراعاً ، وجعل بين الستة الأبواب الكبار ، ستة أبواب صغار سعة كل واحد منها ذراعان ونصف، وارتفاعه في السماء ثمانية أذرع وثلثا ذراع، حتى اختلطت بالمسجد الكبير، قال أبو الحسن الخزاعي : قد كان هذا الجدار معمولاً على ما ذكره عم أبي أبو محمد الخزاعي إلى أيام الخليفة جعفر المقتدر بالله (٢٩٥-٣١٩هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) [٣٢] ، ثم غيره القاضي محمد بن موسى، وإليه أمر البلد يومئذ، وجعله بأساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج بطاقات معقودة بالآجر الأبيض والجص بهيئة قوالب متراصة وصله بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من العمل الأول، حتى صار من في دار الندوة من مصل أو

نزار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٩٧م، ص٩١؛ الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٧٤-٤٧٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣١٣، النجم بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، ص٥٨٧.

٣١- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٣٤؛ المكي (أحمد بن محمد الأسدي ت ١٠٦٦هـ)، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، تحقيقالحافظ غلام مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٠٧.

٣٢- الأزرقي (أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد ت٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط١، مكتبة لأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٥٤-٦٥٥.

غيره يستقبل الكعبة فيراها كلها، عمل ذلك كله في سنة ست وثلاثمائة..) [٣٣] ، ويعد استخدام طوب الآجر في بناء العقود اسلوب شائع في العمارة العباسية ، لما تميزبهمن صغر حجمه بحيث يساعد على تنوع شكل العقود المبنية ، كما أنه يتميز بسهولة تماسكه مع المونة ، كما أن الآجر يسمح بارتفاع العقود بالقدر المطلوب [٣٤].

كما استخدام الآجر في المسجد الحرام عام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ، حيث يذكر باسلامة أنه في عام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) عملت الأساطين التي حول المطاف بالحجارة المنحوته الدقيقة الصنع ، والباقي عمل من الآجر المجصص ، **والتي بلغ عددها ثمانية عشر إسطوانة صُنعت بشكل دقيق**[٣٥] ، وقد عمل بين الأساطين خشبة علق عليها القناديل لكى يضيء للمصلين، وللطائفين ليلا بالبيت العتيق [٣٦] .

كما استخدام الآجر في بناء الفراغات بين العقود حتى السقف في المسجد الحرام، حيث ذكر الفاسي والنهروالي أن الأمير بيسق الظاهري أمير الحاج المصري قام بتعمير المسجد الحرام سنة (٨٠٣هـ/١٤٠١م) وأصلح ما أصابه جراء الحريق الذي تعرض له ليلة السبت (٨٠٢/١٢/٢٨هـ-١٤٠٠/٨/٢٠م) لاسيما الجانب الغربي منه[٣٧]، حيث كشف عن أساسات المسجد والاسطوانات بالجانب الشامى منه الى باب العجلة، وأصلحها وأحكمها، وأقام عليها أحجار إسطوانية منحوته وسبك بينها بالرصاص، حتى ارتفاع اساطين المسجد، ووضع في نهايته طبلية خشبية مربعة يقوم عليها طاقات (عقود) تربط الأساطين، وبنى الفراغات فيما بين هذه الطاقات بمداميك من الآجر والجص الى أن يصل الى السقف[٣٨].

٣٣- الفاسي (الإمام العلامة الحافظ أبى الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسيالمكيالمالكي ت٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق مصطفى محمد الذهبي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٩٩م، ج١، ص٤٣٠.

٣٤- النجم بن فهد (عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمدت٨٨٥هـ)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، إعداد محمد إسماعيل السيد أحمد ، صادق البيلى محمد أبو شادى، الطبعة الأولى، معهد إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص٣٦٦؛ العوفى، تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام، ص٥٠-٥١.

٣٥- ابن الضياء (الإمام أبى البقاء محمد بن أحمد بن محمد المكى الحنفى ت٨٥٤هـ)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم الأزهرى، أيمن نصر الأزهرى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٢٤.

٣٦- باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٤٩.

٣٧- النهروالي (محمد بن أحمد بن محمد ت٩٩٠هـ)، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق على محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٩٨-١٩٩.

٣٨- القطبي، تاريخ البلد الحرام، ص٨٣-٨٤؛ حسين عبدالله باسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما إحتوى من مقام ابراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، ط٣، تهامة للنشر، جدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٧١.

كما استخدام الآجر أيضاً في بناء عقود وأساطين المسجد الحرام لاسيما في العمارة التي تمت على ظلة المؤذنين عام (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) ، فقد كانت ظلة المؤذنين التي فوق البيت الذي فيه بئر زمزم قد خربت لأكل الأرضية لأساطينها الخشب [٣٩] ، فشدت الظلة المذكورة بأخشاب يمنعها من السقوط وذلك في سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م) ، فلما كان يوم ٧ ربيع الأول سنة ٨٢٢هـ- ١٤١٩/٣/٥م هدمت الظلة المذكورة وأزيل الخشب الذي كان تحتها والدرابزين الذي كان يحيط بها وبنى فوق الجدار الذي يلى الكعبة ومقام ابراهيم وباب الصفا أساطين من الآجر والنورة بعد أن زيد في عرض الجدار المحاطة بالبئر من جهة الكعبة ذراعا ، ومن جهة مقام ابراهيم كذلك، كما بنوا فوق الجدار الغربي ثلاثة أساطين دقيقة بالآجر والنورة[٤٠]،لئلا تفسدها الأرضة كما أفسدت الاساطين الخشب قبلها ليعمل عليها ظلة للمؤذنين لقوة ومتانة الآجر، وأن يقوى الجدار الغربى من هذا البيت الذى فيه زمزم وهو الجدار الذى يلى الكعبة وأن يقوى الجدار الشامى من هذا البيت، وهو الجدار الذى يلى مقام الشافعى بزيادة بناء فى عرضها وتم اتصال الجدارين بالسقف وعملوا فى كل من الجدارين ثلاثة عقود بالنورة، وفيما بين كل عقد من العقود التيفي الجدار الذى يلى الكعبة أسطوانة دقيقة من الرخام وترك لها محلاً خاليا من البناء في الجدار ، وأوسعوا في الشبابيك التيفي هذين الجدارين وبنوا عليهما منحوتة كبار يقال لها الفصوص (عقود مفصصة) ، وبنو ما فوق العقود بحجارة غير منحوتة وكل ذلك بالنورة، وسلخوا من الجدار الشرقي من البيت الذى فيه زمزم ايضاً ما فوق العتبة العليا من هذا الجدار إلى أعلاه وبنوا ذلك بالنورة والآجر.

وبنو فوق الجدار الغربي من هذا البيت ثلاث أساطين دقيقة من آجور بالنورة وبنوا اسطوانتين مثل ذلك إحداهما في الجدار الشامي والأخرى في الجدار اليماني من هذا البيت، ووصفت هذه الأساطين بأنها دقيقة من آجُر مدهون بالنورة[٤١] ، وجعلوا بين هاتين الأسطوانتين اسطوانة من خشب وأخشاباً بين هذه الأساطين وسقفاً من خشب مدهون ساتراً لما بين الأسطوانة الوسطى والخشب فجعلوا فيه قبة من خشب مدهونة وجعلوا فوق هذه القبة قبة ساترة لها من خشب وجريد وقصب وطلوها من أعلاها بالجبس والآجر والنورة، وكان الفراغ من هذه العمارة في رجب ٨٢٢هـ-١٣١٩/٧م ، والمتولي لهذه العمارة الجناب العاليالعلائي خواجة شيخ على الكيلاني نزيل مكة [٤٢] .

٣٩- الفاسي (تقى الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى ت٨٣٢هـ)، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبى، الطبعة الأولى، مكتبة نزار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٩٧م، ص٩١.

٤٠- باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٧٧-١٧٨.

٤١- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٧٤-٤٧٥.

٤٢- الفاسي، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، ص ٩١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣١٣، النجم بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، ص٥٨٧.

وفى ذي القعدة ٨٢٥هـ-١٤٢٢/١١م عُمر بابي الجنائز بالمسجد الحرام بأمر الملك الأشرف برسباى على يد الأمير زين الدين مقبل القديدى ، حيث خرب ما بينهما وهُدم حتى بلغ الأرض وأزيلت أسطوانتان من رخام كانتا متصلتان بالبناء بين البابين، وبُنى فوق الباب عقدان عليهما، وعلى جدار المسجد الحرام إلى المدرسة الأفضلية وجدار المسجد الحرام، وهذان العقدان مبنيان بحجارة منحوتة، وفوق الدرج عقدان من آجر ونورة، وفى كل عقد لطيف من الطوب الآجر والنورة (٤٣).

استخدام الآجر في بناء الأساسات :

في أثناء التعميرات والزيادة التي قام بها الخليفة العباسي المهدى ،للمسجد الحرام، وخلال التوسعة الاولى له سنة ١٦٠هـ قام بتشييد اساسات الجدران على شكل متقاطع طولا وعرضا وبنيت هذه الأساسات بالنورة والآجر والرماد والجص حتى استويت على وجه الارض وبناء الاساسات بهذه المواد يعد تطوراً كبيراً حيث أن الآجر يتماسك بقوة مع النورة والرماد الذى هو في الغالب مواد جصية (٤٤) .

استخدام الآجر في بناء الدرج :

من المواضع التي استخدم فيها الآجر في العمائر الدينية كتلة الدرج ففى خلافة الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢٢٩هـ/٨١٤-٨٤٤م) أعيد بناء درج الصفا والمروة وكان أول من أحدث بناءها عبد الصمد بن على في خلافة أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨م/٧٥٤-٧٧٥م) ، وقد أعيد بنائها باستخدام مداميك الحجر ومداميك الآجر ثم طُليت بالنورة (٤٥) .

إستخدام الآجر في بناء الأسقف :

ذكر الأزرقي أنه في عهد الخليفة المهدى العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٦م) وأثناء عمل الزيادة في المسجد الحرام سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) جعل من أسفل المسجد الحرام ومن أسفل باب بنى جمح ممر سقف هذا الممر بالطوب الاحمر واستخدم هذا الطوب في البناء لخفة وزنه ولسهولة البناء به لأنه يتماسك بسرعة مع المونة عن الاحجار (٤٦) .

كما استخدم الآجر في الأعمال المعمارية التي قام بها السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) في المسجد الحرام ، حيث قام في نهاية سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م) وبداية عام ٨٠٢هـ/١٣٩٨-١٣٩٩م بتعمير مقام الأئمة الحنفية شمال الكعبة المشرفة وجعله بأربعة أساطين من الحجارة المنحوتة وعليها

٤٣- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٣٤؛ المكي (أحمد بن محمد الأسدى ت ١٠٦٦هـ) ، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، تحقيقالحافظ غلام مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٢٠٧.

٤٤- محمد بن سالم بن رشيد العوفى، تطور عمارة وتوسعة المسجد الحرام حتى نهاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٨.

٤٥- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٥٦٠.

٤٦- الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٦٩.

سقف مدهون ومزخرف[٤٧] ، وعمل أعلى السقف مما يلى السماء مدماك بالآجر ومطلى بالنورة، وغالباً ان هذا المدماك هو الذي كان يمثل الستارة او الشرفاة التي كانت تتوج البناء، وقد تمت العمارة على يد الأمير بيسق والمعلم المهندس أحمد الطولونى [٤٨] .

كما سُقف مبنى المقام الحنفى بالطوب الآجر المدكوك المطلى بالنورة [٤٩] ، وكان ابتداء العمل في هذه الصفة في شوال أو ذي القعدة من سنة (٨٠١هـ/١٣٩٩م) وفرغ منها في اوائل سنة (٨٠٢هـ/١٤٠٠م)[٥٠].

وفى عام (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) بُنيت القبة التي تغطى سقاية العباس جميعها وعُقدت من الآجر الأحمر وطليت بالنورة [٥١] .

وفي رجب ٨٢٢هـ-١٣١٩/٧م وضمن التعميرات التي تمت على المسجد الحرام أعيد بناء سقف ظلة المؤذنين من الخشب المدهون وأتقنوا تسمير السقف والقبة والرفرف أتقاناً كثيراً بمسامير، وجعلوا فوق هذا السقف المدهون سقفاً من خشب غير مدهون، ودكوا ما فوق السقف الأعلى بالآجر والنورة وطلوا ما فوق الآجر بالنورة، وطلوا ما فوق القبة التيفي وسط هذا السقف بالجبس ، وأتقن ذلك وتم إصلاح جميع سطح البيت الذى فيه زمزم بالنورة والآجر [٥٢] .

استخدام الآجر في بناء الشرفات التي تعلو الجدران :

تُعد الشرفات أحد الأشكال المعمارية التي تأخذ طابعا زخرفياً والتي استخدمها المعماري كحلية لتزيين واجهات العمائر الدينية والتي استعاض بها عن الساتر الذي يحيط بواجهات العمائر المدنية ومن ثم أضاف لها وظيفة معمارية الى جانب وظيفتها الجمالية ، وتؤكد المصادر التاريخية ومشاهدات الرحالة على أن هذه الشرفات كانت تبنى من الآجر نظراً لخفة وزنه بحيث لايشكل ثقلاً على الجدران ، فقد ذكر الأزرقي أنه في بداية العصر العباسي كان عدد الشرافات التي تتوج جدران المسجد الحرام من خارجة مائتين واثنين شرافة ونصف شرافة وهى منقوشة بالجص وكانت جميعها مبنية بالآجر [٥٣] .

٤٧- النجم بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، ص٤١٢.

٤٨- فوزيه حسين مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العصر العثمانى، دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٢.

٤٩- ابن الضياء، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص١٦١.

٥٠- الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج١، ص٤٦٢ ؛ النجم عمر بن فهد (٨١٢هـ-٨٨٥هـ) ، إتحاف الوري بأخبار أم القري ، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ج٣ ، ص٤١٢ .

٥١- غباشي ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، ص١٠٣.

٥٢- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٧٣- ٤٧٥.

٥٣- الأزرقي، أخبار مكة ، ج٢ ، ص١٩٩.

كما زُين سقف المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م) بصف من الشرفات المدرجة المبنية من الطوب الآجر الاحمر المتوسط الحجم والمنقوش من خارجه بالجص [٥٤] .

كما استخدم الآجر المدكوك في الأعمال المعمارية التي قام بها السلطان برقوق في المسجد الحرام في نهاية سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) وبداية عام (٨٠٢هـ/١٣٩٨-١٣٩٩م) في سقف مقام الأئمة الحنفية شمال الكعبة[٥٥]، وطلاه بطبقة من النورة [٥٦] .

كما استُخدم الآجر في تسقيف الأربعة أروقة التي كانت في مقدمة مسجد الخيف بطريقة معقود كالأطباق مع طلائها بالنورة [٥٧] .

العمائر المدنية :

تعددت المواضع التي استخدم فيها الآجر أو مشتقاته سواء كانت كسر الآجر أو الحمرة أو غيرها في العمائر المدنية ، ما بين استخدامها كمواد بناء للجدران والأسقف ، أو استخدامها في الأعمال الخاصة بالطلاء والزخرفة في مكة منذ القدم (لوحات١ ، ٢) .

فقد استخدم معاوية الآجر الأحمر في بناء دار بمكة عُرفت بدار الرقطاء فيذكر الأزرقي ، ان معاوية رضي الله عنه ابتنى بمكة دوراً منها الست المتقاطرة ليس لأحد بينها فصل أولها دار البيضاء التي على المروة وبابها من ناحية المروة ووجهها شارع على الطريق العظمى بين الدارين وكانت فيها طريق إلى جبل الديلمي فلم تزل حتى اقطعها العباس بن محمد بن علي فسد تلك الطريق فهي مسدودة إلى اليوم ، ثم قبضت بعد من العباس بن محمد ، فهي في الصوافي وإنما سميت دار البيضاء انها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء، وجدر الدار الرقطاء إلى جنبها وإنما سميت الرقطاء لأنها بنيت بالآجر الأحمر والجص الأبيض فكانت رقطاء ... [٥٨] .

كما كان لمعاوية بن أبى سفيان الدار التي يقال لها دار سعد بنيت بالحجارة المنقوشة وطليت بالنورة[٥٩] .

كما استخدم كسر الآجر الصغير في بناء البيوت الصغار التيفي رحبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والتي كانت من صدقاته ، وكانت هذه المقاعد في أول الأمر يقعد فيها الناس ثم يحجزونها بالجريد والسعف ، وبمضي الوقت بنوها

٥٤- الفاكهى (الإمام أبى عبد الله محمد بن اسحاق) ، أخبار مكة، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ج٢ ، ص٨٨.

٥٥- النجم بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، ص٤١٢.

٥٦- باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٢٧.

٥٧- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٥٠١.

٥٨- الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٨٦٤؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢٨٧.

٥٩- الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص٢٨٩.

باللبنوكسار الأجر الصغير التي تراصت الى جوار بعضها حتي صارت دورا صغارا يكرونها على صناع الأدم بالدنانير الكثيرة وصارت غلة [٦٠] .

ومن مظاهر استخدام الآجر في بناء الدور خلال العصر العباسي استخدمهفي بناء دار حزبة وهى لبنى مخزوم وهى الدار التي عند اللبانين بفوهة خط الخزامية شارعة في الوادي بناهاعيسى بن محمد المخزومى في ولايته على مكة في سنة ٢٥٤هـ بالحجر المنقوش والآجر والجص، وشرع لها حائطاً من الآجر على الوادي في الحزورة وأسرع في بنائها وعمرها بعد ذلك بالآجر والجص ابنه محمد بن عيسى بن محمد بن اسماعيل المخزومى ولى مكة في عهد الخليفة المعتمد العباسي سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م) وسكن فيها فلما نزل محمد ابن أبى الساج والى مكة سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م) به في الموسم وظهر عليه حرقها وحرق دار الحارث معها [٦١] .

استخدام الآجر في المنشآت المائية :

المصادر المكية والشواهد المعمارية والأثرية المتبقية بمكة المكرمة وحولها تؤكداستخدام الآجر في أعمال البناء المختلفة في المنشآت المائية، (لوحات٣: ٦) نظراً لما يتميز به من سمات تتناسب مع طبيعة خواص المياه وقدرته على الاحتفاظ بها لفترات طويلة والتقليل من تسريبها ، فقد قام المهدي بحفر بئر على باب البقالين في جدر ركن المسجد الحرام ، وقد كان الحارث بن عيسى عمرها في سنة (١٦٠هـ/٧٧٧م) وهو يومئذ على خراج مكة مع إبراهيم الهاشمي ، وأحاط عليها بجدر من حجارة وأجر، وشيده بالنورة وجعل منتهى الحوائط لاصقاً بجدر المسجد الحرام اليمانى ، ثم أحاط البناء بحائط إلى باب البقالين وأحكم العرصة التي يقوم فيها المستقى من البئر، وهذه العرصة بنيت من الطوب الأحمر المحروق [٦٢] .

ويلاحظ من خلالالزيارات الميدانية للمواقع القديمة داخل مدينة مكة أو تلك المحيطة بها أن الآجر استخدم في الكثير من المواقع لاسيما تلك التي شُيدت خلال الفترة العباسية (لوحات٣: ٦) ، ومن امثلة ماهو موجود بوادي الشامية بالقرب من قرية المضيق الى الشمال الشرقي من مكة المكرمة،حيث توجد بعض بقايا برك وقنوات مائية وسدود، شُيدت خلال العصر العباسي ، على طريق الحج العراقي المعروفبدرب زبيدة ، فقد استخدم فيها قوالب الآجر بأحجام صغيرة، حيث يلاحظ توافر الأودية التي تضم كميات كبيرة من الطين ، فالمنطقة تضم مساحات زراعية كبيرة ، وتتوافر فيها المياه بكثرة سواء من الأمطار ، أو من البرك والآبار، ومن خلال المعاينة الميدانية لهذه المنطقة وما تضمه من انواع وطبقات سميكة من الطين، أن طين هذه المنطقة يتميز بنقائه وصلاحيته لصناعة الآجر .

ومن خلال المقابلات الشخصية للعديد من شيوخ الصنعة في مكة المكرمة أفادوا بأنه يوجد نوع من مصانع الطوب البسيطة التي يمكن أن يقام بشكل مؤقت

٦٠- الأزرقي ، أخبار مكة، ج٢، ص٩٠٢-٩٠٣.
٦١- الفاكهي ، أخبار مكة، ج٣، ص٣٣٠-٣٣١.
٦٢- الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٧٣-١٧٤.

في موقع البناء نفسه والذي كان غالباً ما يبعد مسافات ليست بالقليلة عن مصانع الطوب ويتطلب نقلها تكاليف ومشقة كبيرة، وكانت هذا النوع من المصانع ينتهى دورة بانتهاء البناء في الموقع الذي يستخدم فيه ما نتجه هذه المصانع، كذلك كانت هذه المصانع توجد في المواقع التي يتوفر فيها المادة الخام الرئيسية لصناعة الآجر وهى الطين النقي، ومن ثم قد يكون هذا النوع من المصانع كان مستخدماً في صناعة الآجر المستخدم في المباني التي تضمها هذه المنطقة ، وهو ما قد يؤكده التشابه الكبير بين انواع الآجر المستخدم في مبانيها الباقية ، سواء من حيث الحجم أو من حيث نوعية الطين المستخدم في الصناعة .

وقد وقف الباحث على آثار لمحطتين رئيسيتين متقاربتين بهذه المنطقة، الأولى تعرف باسم العلوية أو اللوية (لوحات٥:٣) ، والثانية تعرف باسم أم الضميران (لوحة٦) ، ويفصل بينهما مسافة بسيطة ، ويلاحظ أنه استخدم في بناء منشآت هاتين المحطتين قوالب الآجر الاحمر بأحجام صغيرة، وتدل آثار العلوية على أنها كانت محطة كبيرة وأنها كانت مستطيلة التخطيط من الشمال الى الجنوب ، ومن أهم آثارها التي استخدم فيها الآجر البركة الرئيسية ذات التخطيط الفريد والذي يختلف عن برك درب زبية الأخرى ، حيث تضم حوضان متداخلان كل منهما صمم على شكل مثمن ويتصل بهما قناة مسقوفة، وينتشر حول البركة من الشمال والشمال الشرقي مباني سكنية [٦٣] (لوحات٣: ٦) .

أما المحطة الثانية فهي موقع أم الضميران (البستان) (لوحة٦) ، والذي يبدو أنه أحد محطات طريق الحج الكبيرة ، ويقع الى الجنوب الغربي من العلوية، عند التقاء وادي اليمانية مع وادي الشامية ، وتنتشر آثار مباني هذا الموقع على مسافة كبيرة تصل الى حوالي ٢كم٢ من الشمال الى الجنوب، وتضم وحدات سكنية، وبرك، وقنوات مياه، وتلاحظ من الزيارة الميدانية للموقع استخدام قطع الآجر بنفس هيئة وحجم مثيلاته في موقع العلوية سابق الذكر .

وفى حوالي عام (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) استخدم الآجر في بناء قبة سقاية العباس بن عبد المطلب والتي كان موقعها في المسافة بين بئر زمزم والكعبة، وكانت قبة كبيرة معقودة مطلية بالنورة تغطي كامل مساحة الحجرة التي تمثل مبنى السقاية [٦٤] .

وفى عام ٧٥٩هـ/١٣٥٧م أنشأ السلطان الناصر حسن بن قلاوون (٧٤٨هـ-٧٦٢هـ/ ١٣٤٧م-١٣٦١م) سبيلاً بالقرب من باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام بُنيت جدرانه جميعها بالآجر وطليت بالنورة [٦٥] .

٦٣- سعد عبدالعزيز الراشد، درب زبيدة: طريق الحج من الكوفة الى مكة المكرمة "دراسة تاريخية حضارية أثرية"، الطبعة الأولى، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٨٧-٢٨٩.

٦٤- الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص٤٩٠؛ ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ، ص١٤٩.

٦٥- عادل محمد نور عبد الله غباشي ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثمانى دراسة حضارية ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص١٠٥.

كما إستخدم الآجر الأحمر في بناء جدران سقاية العباس عند إعادة بنائها عام (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) وكانت عبارة عن بيت مربع بُنيت جميعها بالآجر الأحمر [٦٦].

استخدام الآجر في بناء الحوائط فى المشاعر :

لم يقتصر استخدام الآجر على أعمال البناء في المباني الدينية والمدنية والمائية فقط بل استخدم في بناء الأسوار التي لها وظيفة حربية ودفاعية فقد استخدمالأجور في مسار طريق النبي صلى الله علية وسلم إلى منى، وهو الطريق الذى سلكها الرسول من منى إلى شعب الأنصار يوم أخذ البيعة عليهم، حيث قام نافع بن علقمة الكناني والى مكة (لابد من ذكر السنة) بتسهيل الطريق وضرب الجبل حتى فتح الطريق التي يسلك الناس منه اليوم ، ثم دثرت تلك الطريق وانقطع الناس منها حتى كان زمن المتوكل على الله العباسي فبعث إسحاق بن سلمه فعمرها وجددها وضرب فى الجبل طريق وعمل ضفيرة عقبة منى وأصلح الطريق فردها إسحاق إلى موضعها الذى كانت عليه، وبنى من ورائها جداراً كبيراً بالآجر أعلاه عليها ومسجداً متصلاً بذلك الجدار لئلا يصل إليها من يريد الرمي من أعلاها وجعل على ذلك كله أعلاماً بناها بالجص والنورة [٦٧] .

النتائج والتوصيات :

- أوضحت الدراسة أن استخدام الأجر ظهر في مكة المكرمة في صدر الإسلام وان أول إشارة لاستخدام الآجر فيها كان في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .
- بينت الدراسة تعدد انواع المباني التى استخدم فيها الأجر فى العمارة المكية.

  اوضحت الدراسة تنوع العناصر المعمارية التي استخدمت فيها مداميك الآجر بمباني مكة المكرمة .
- لفتت الدراسة الأنظارالى مدى حذق ومهارة المعماري وصانع الآجر بمكة وتفهمهم الواضح لسمات ومميزات هذه المادة وملائمتها لطبيعة بيئة مكة .
- توصي الدراسة بضرورة الحفاظ على صناعة الآجر بمكة ورعاية القائمين عليها باعتبارها أحد المهن التي ارتبطت بتاريخ مكة منذ القدم .

٦٦- غباشي ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، ص١٠٣.
٦٧- الفاكهي، أخبار مكة، ج٤، ص٢٧٩-٢٨٠.

الأشكال واللوحات

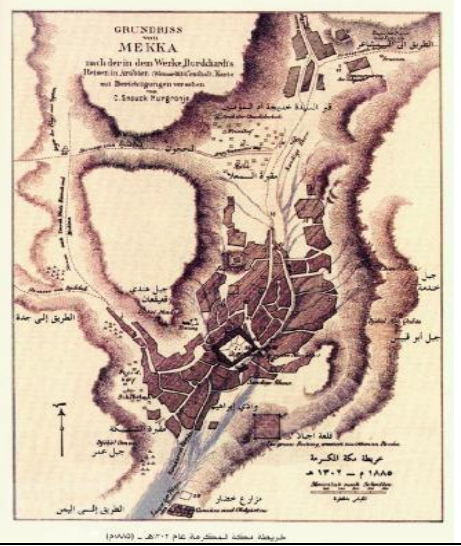

خريطة (١) عمران مكة المكرمة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري .
(نقلاً عن : محمد سعيد : فارسي ، التكوين المعماري والحضري لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية ، ص٥٥٩)

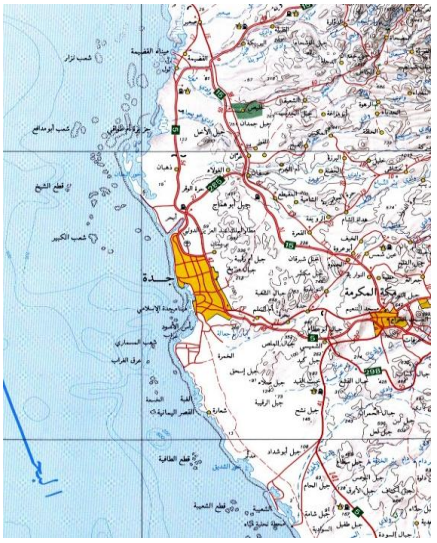

(شكل٢) خريطة لمدينة مكة توضح التوزيع الجغرافي لبعض جبالها الرئيسية والأودية المحصورة بينها ، (نقلاً بتصرف عن : الأطلس الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠١م ، لوحة١٢ ، ص١٩٢)

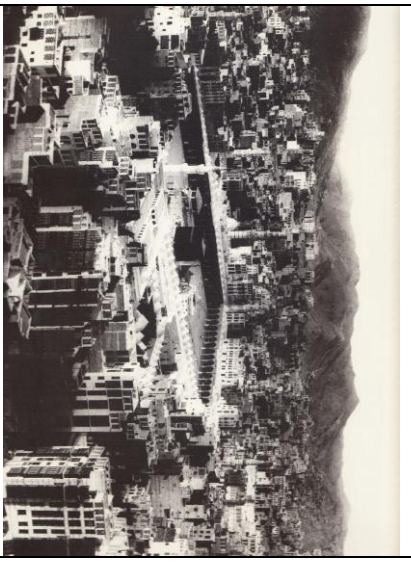

لوحة (١) منظر عام للحرم المكي والأحياء المحيطة به ويلاحظ استخدام الآجر في الأقسام العلوية لمباني المدينة المقدسة ، (نقلاً عن : ميزا وشاووش ، الأطلس المصور لمكة المكرمة ، ص١٤١)

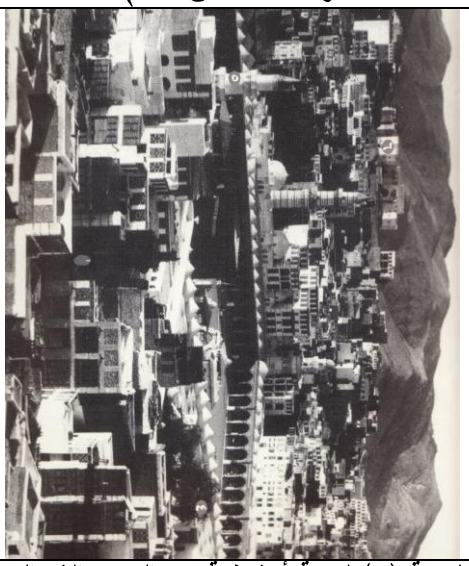

لوحة (٢) لوحة أرشيفية من السور الشمالي لقلعة أجياد تبين أسطح المنازل في سفح جبل القلعة ويلاحظ كثافة استخدام الآجر وتنوع تشكيلاته في السواتر التي تحيط بأسقف مباني مكة. (نقلاً عن : ميزا وشاووش ، الأطلس المصور لمكة المكرمة ، ص١٠٩)

لوحة (٣) منظر عام لموقع العلوية (لُوَيَّة) في الطريق الى المضيق، ويلاحظ إنتشار اساسات المباني في الموقع بشكل عام.

لوحة (٤) بركة العلوية ذات التخطيط الفريد، ويلاحظ مداميك الآجر الأحمر، وقوالبه المنتشره في الموقع بشكل واضح

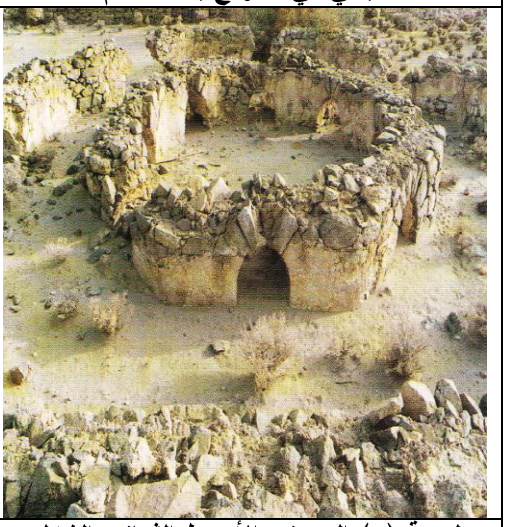

لوحة (٥) الحوض الأوسط الثماني الشكل داخل حوض أكبر ثماني الشكل أيضاً (نقلاً عن: الراشد، درب زبيدة، ص٢٨٨)

لوحة (٦) منظر عام لقسم من آثار مباني موقع أم الضميران